

---

# التقش على الحجر



الحسين أيت بها

# النقش على الحجر

مجموعة قصصية

---

## النقش على الحجر

- النوع: مجموعة قصصية
- تأليف: الحسن أيت بها
- الطبعة الأولى: 2019
- لوحة الغلاف: الفنان محمد سعود
- الناشر: جامعة المبدعين المغاربة
- الهاتف: 06 73 22 41 91
- جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
- الإيداع القانوني: 2019MO3772
- ردمك: 978-9954-710-58-6

مطبعة وراقية بلال ش.م.م  
IMPRIMERIE PAPETERIE BILAL  
S.A.R.L



N°100 Av. Sidi slimane Rue Al Madina Al mounawara  
Hay Al Amal, Narjiss FES  
Tél/Fax: 05 35 61 86 03 - GSM: 06 61 68 70 55  
Imp.bilal@gmail.com - www.imp-bilal.com

## إهداء

إلى أمي الغالية

إلى أبي رحمه الله

في ذكراه الثالثة

إلى أخي التوأم

إلى كل من يعشق حروفي

أكتب إليكم كالنقش على الحجر



# مجموعة " النقش على الحجر "

## لحسين أيت بها...

سردية تتبنى الاصطدام المخملي براهن التخشب الأجل في الكتابة السردية، عموما، هو التخفف ما أمكن من الأسلوب المثخن بمثلثة إصدار الأحكام، لصالح الانخراط في عمليات الوصف المقنن، المراعي شرط التقشّف، بدل الإكثار الذي يشوه فعل تلوين أسطر المنجز السردى، نهاية، والأجدر، أن يشكّل فسيفساء وكتلة، وإن تنوّعت الأغراض والحمولات، في تعرية الواقع، وفضح المكنون.

ممارسة يجب أن تتيح لكاميرا الذات، أفقا أرحب للانتقال والامتداد، رسدا والتقاطا لنثار التفاصيل، توغلا في الهامشي والمقصي والمعطل.

السارد مطالب بأن يكون مخمليا في عبوره، قدر المستطاع، جانحا إلى قوالب تكثيف معاني رسالته، وأن تثرثر بياضات ما يبدع، نيابة عنه، فوق ما قد يتقاذف هو من مفردات، حري أن تلتزم بخطاب السلاسة والبساطة والميل إلى ما يثور نطاق القواسم المشتركة، ضمن حدود العملية التواصلية، برغم اختلاف مستويات الوعي عند التلقي، وتباين الأذواق.

يحاول المبدع المغربي الشاب، المنحدر من مدينة زاكورة، عبر باكورته القصصية التي بين أيدينا، وقد انتقى لها عتبة ملهمة وغزيرة الدلالة ومفجرة لطقوس الطفولة البعيدة جدا، وحينين الذاكرة، في كائن تكفنه معاناته، ويدفع — مجبرا — ضريبة انتمائه إلى عصر التقنية الجائرة التي غرّبت الروح، ونزفت لها الإنسانية طويلا.

عنوان" النقش على الحجر"، أراه اختياراً موفقاً، واش بعق الرسالة، وموسوعية الرؤية، مسيرة وتماهيا مع خطوط الإبداع الرمزي مهما تقنع بواقعيته، إذ يوبخ عالم تجاوزات الملائكية والنورانية في هذا الجيل وهو يهادن سكرته، وتنويم مشاتل النبل والنضارة والهشاشة والجمال، في الأرحام، مقابل تأجيج أدوار أبالسة وأباطرة الفوضى والهدم والانتهازية والافتراس والتوحش، إيذانا بقيامة وانقراض وشيك.

هي تجربة اشطار إلى فصلين:

– صفحات الضربة القاضية، وتترعها باقة من نصوص، تراوح بين القصر والانخفاف الومضي، تركي طرح كون حياة الإنسان المعاصر، غدت مجرد حلبة للصراع النفسي الداخلي، قبل أن تكون معتركا لمانورة ما ورثته إيديولوجيات القهر والاستعباد والريع الاقتصادي وتغيب الخطاب العقلي، وأسهمت فيه من مظاهر للتردي والتقهقر والانسحاق.

صفحات معاناة تترتب على ما قبلها، بحيث تخوض مشاهدتها في مستنقع الأوبئة المجتمعية والسياسية والثقافية.

تجربها إيقاعات في القص، تمتص عصارة اليومي، وتحتفي بنبض الشارع، على مستوى بيني، تتحاشى صياغاته الإنشائية والدفق التقريري المباشر، مثلما تحترز من ولوج فضاء الغموض والتعقيدات التي لا طائل منها. من طقوس المجموعة نطالع المقطع التالي:

[عمي الروداني شيخ كبير متعب، ضعفت قواه فلم يعد قادرا على الحركة، كانت زوجته خربوشة العورة، تلفه في سلهام أسود وجلباب من



الصوف، ثم تحمله وتضعه أمام عتبة باب المنزل الصغير، ليستدفي كل صباح هاربا من قساوة البرد الذي يملأ زوايا وجدران الدار، ثم تغير مكانه نحو الظل، عند الظهيرة، حينما تشتد حرارة الشمس، اتفقت القبيلة في شخص الرايس دحمان، على جمع التبرعات لمساعدة الرجل وزوجته، وشراء الدواء الذي يحتاجه عمي الروداني، نمر عليه حينما كنا صغارا، فنجده على تلك الحالة، فكنا نشفق على حاله، وكنا نرك زوجته خربوشة العورة التي اختيرت لمساعدته والعناية به، وقد لقت خربوشة بالعورة، لأنها لا ترك إلا بعين واحدة، لكنها مع ذلك كانت زوجة أمينة وحافظة لزوجها الروداني، صابرة لاتكل ولا تمل في العناية به، كانت امرأة طيبة تعاملنا نحن الصغار معاملة جيدة. فضلا عن عملها في صناعة الأواني والصحون من جريد وسعف النخيل، كنا نجدها كل يوم جالسة بجانب زوجها وقد جمعت الكثير من سعف النخيل، تتعمده بالتشذيب والتنقية ثم تقوم بصبغه، صباغة طبيعية متعددة الألوان، ثم تتركه في الشمس ليحف، فتتسج به أواني وسلال، بمهارة فائقة قل نظيرها، ثم تحمل ما أتقنت صنعه فوق رأسها، متجهة به نحو السوق، تبيعها لتساعد زوجها ونفسها بما قدرت عليه، فكانت مثلا للمرأة المكافحة والمثابرة].

تجدد الإشارة إلى أن الكاتب بصد عمل روائي موسوم بـ " هواجس الضياع"، قيد الطبع.

يستأنف مشواره الإبداعي بإصرار وإخلاص، لا شك، سيؤتيان ثمارهما، مستقبلا، وعلى كل، في اعتقادي، أحسب هذه الباكورة مؤشرا على إشراقات يلوح بها أفق السرد العربي، إجمالا، شأو العديد من الأسماء الواعدة

التي مثل حضورها الأول المطبوع قفزة نوعية، تنعش في معشر النقاد والقراء والمهتمين، على حدّ سواء، الأمل بغد مشرق في السرد، على نحو يحتفي بمنزلة رواد هذا الجنس التعبيري، ويعبق بعبورهم، الأحياء منهم كأحمد بوزفور متمنين له طول العمر والعطاء، أو سرب الراحلين المخدّين في أدبياتهم كمحمد زفازف ومحمد شكري، على سبيل المثال لا الحصر.

تلکم سرديّة استرجاع، تسرق من صفحات الطفولة، وتنهل من معجم الهشاشة والهامش، تكفر بالهيمنة المركزية، وكأنها تعدّ لاصطدام مخملي، براهن الإستميتية والتخشب.

ترعى مثل هذا الطرح وتتبناه، ترويجا هذيانيا، تتنفسه الذات الساردة بسرية، أقساطا ومساحات كافية، يسهل معها امتصاص المعاناة في تركيبيتها وتشابك عقدها الاجتماعية والنفسية والعاطفية.

أحمد الشياوي

\*شاعر وناقد مغربي

بتاريخ: 2019/07/11

# المجموعة القصصية "النقش على الحجر" للقاص المغربي الحسين أيت بها

"خلجات حكاية محملة بألوان الطيف ومنقوشة على جباه الصخر"

يفوص السرد المغربي بدلوه في غياهب المفارقة الاجتماعية، الهامشي، المخملي، الواقعي، بمعناه المغربي المتداول، يغطس في قاع جب أصيل من الشعبي، المثل الرصين المجرب، الذي يحكمه المعنى، ذلك السبق الذي تهافت على رصده المولعون بضرب المعاني، والتكثيف الدال على المرجعي في تشكيله لتجربة الماضي حتى تقع محط العبرة، فلا يعاد الخطأ نفسه، إنما يعتبر به العاقلون، هذا هو المثل المغربي، في صياغاته المتعددة، وكل محاولة للرواد في تأصيل السرد القصصي المتعدد الأشكال، لا يعدوا أن يعتمد إلى هذه المرجعية، بل إن المسرح عند تأصيله مر بمحاولات عربية للتأصيل حسب الأقطار، واهتدك في المغرب إلى الحكاية الشعبية ينهل منها زاده لتكثيف الفرجة، لتناسب مستوى الجمهور المتعطش المتشعب الأطياف....

يحظى السرد بقدر هائل من الكشف عن الحكاية التخيلية باختلاف الزمان والمكان في ذاكرة الراوي، إلى درجة يفقد الهيمنة على الحكاية، ومع بشاعة المنظر، وجاهليته وتسبب الماضي، يزيد الراوي من حدة صوته، ويطلق العنان لخياله، لوصف جو التوتر، إذ أن الحكاية هنا مجرد حكاية شعبية هامشية، لشخصيات عرفوا بمقدار خدمتهم للجماعة أو دورهم في

تسيح سيادتها بين الجماعات البشرية الأخرى، إلا أنها عند الراوي الذي عاشها، والقارئ والسامع المتعطش لسماعها، تأخذهااتها القدسية الأسطورية، لم تكن الذكر مجرد عبور وتجاوز للزمن والمكان، للكشف عن الأسرار...

بل كان فضولا مثقل بالمشاعر والأحاسيس صوب القريب البعيد، ذلك الذي عاش في فترة من القرون الماضية بين الجماعة، يحضر بطيفه لا بصورته، يعطف عليه في كثير من أقوال السارد فيرثى لحاله، ويتشفى من ظلمه في غالب الأحيان، ما مضى ليس مجرد صورة في كيان السارد، إنما هو تسلسل لأحداث انعكست وظلت تنعكس في الواقع المعاصر، بل إنه تجلى في مظاهر اللباس ونقش على الجباه، تعدهاها فرسم ألوان الطيف، نقله من الأحمر الباهت في ثنايا الذاكرة إلى ألوان الطيف في متن السرد ودوالب القصة وأرجائها...

هي كثيرة اللوحات التي تواجهنا في فنادق تراثية، رسمها أصحابها بلا رمزية ولا تجريدية، واقعية تجلى فيها طيف الجماعة، المتأمل لهذه اللوحات يظن أنها نقل تقليدي بسيط، مثل إعداد الشاي مثلا، بكل ما صاحبه من أواني فخارية متعارفة في القديم، محاكاة للواقع ليس إلا...

لكن تغمرنا الدهشة عندما نعمق الرؤيا في مناحيها وإشاراتهما ورموزها، تناصها مع أحداث القصة المذهل، حياة الجماعة العجيبة، كل هذه الأشياء إذا واكبت المشاعر واندلق منها الإحساس، عرجت إلى الدفين، رجت فيه المحال، نقلت فيه المقيد، والممنوع، الإحساس بقوة اللحظة، لا

يمكن أن ينقله سوى الفن سواء كان قصة أو لوحة أو قصة، أو مسرحية...  
إيماننا بتكامل الفنون، وتزاورها...

ولهذا علاقة سنأتي على بيانه... بالمجموعة القصصية "النقش على الحجر"، للقاص المغربي الحسين آيت بها، التي من خلال عنوانها ومن خلال المقدمة المشخصة لها والرصينة والتميزة للناقد المغربي أحمد الشياخي، نحث كاتبها في تداعيات الذاكرة والحكاية المغربية القديمة، تفاصيل ملهمة، عبر تضاريسها ومناخها الحجري، العتاقة وصلابة وجفاء الطبيعة وتحجرها، انعكست في سلوكات أناسها، وشخصيات أبطالها، وقواها الفاعلة... وصراعاتها الداخلية، بالرغم من هامشيتهم وانغماسهم في حضيض العامة، والنكرة...

نعود لما سبق فنشهد فنقول، لم تكن "المجموعة القصصية" مجرد سرد فقط وإنما تعدد السرد بألوان الطيف، ليخلد العلاقات الحميمة، والعدائية، والصراعات الجماعية والثنائية، بين أفراد الجماعة، كل يجهد لإثبات الذات، وكتابتها في وحل أرشيف الجماعة، ثم يضيف لها اليومي السافر، وخلجات النفس، وفلسفة وحكمة الواقع، في تناغم القديم بالمعاصر، وتعدد ألوان الطيف، الممكن بالمستحيل، المعيشي اليومي بالواقعي المتخيل، الصوفي الكمالي بالشعري المتعدد...

يقول الكاتب وهو يصف مكانة عقا بين أفراد القبيلة: "نزل عقا للساقية، حاملا معه معوله، شد وسطه بحبل متين كجذع نخلة، ثم أخذ في الحفر المتواصل، كان عقا قوي البنية، ضخم الجثة، مفتول العضلات وطويل الشارب، قسامات وجهه قاسية، يربع بها من ينظر إليه،

بينما على الضفة الأخرى ينهمك رجال آخرون في العمل، غير أنهم يميلون نحو الدعابة، مما جعل عملهم في نقل التراب والحجر بطيئا بعض الشيء، حمل أحدهم وهو إدريس الهييل الطوب وخبأه في جيبه، ثم أخذ يضرب الرجال وهم في غفلة من أمرهم، فكان أصدقاؤه يضحكون على المشهد، فاتخذوا العمل تسلية ومزاحا، وسرعان ما سمع عقا طنطنة طوية وقد ألقاها أحدهم عليه، حمل عقا معوله، دون أن ينبس بكلمة واحدة، ثم توجه نحو الرجال، وأمام دهشتهم أمسك بإدريس الهييل، فوجه له لكمة قوية أسفل البطن، ثم هوى على رأسه بقفا المعول، حتى فقد وعيه، فسقط إدريس الهييل مغميا عليه، اندفع أحد أقرباء إدريس، وهو المعطي، محاولا النيل، من عقا، وتوجيه لكمات غادرة له، غير أن عقا ظل في مكانه، وقد ساعده طولُه على مشاهدة الجميع، اكتشف أنهم كانوا جميعا أقراما أمامه، فأمسك برأس المعطي، وضربه ضربة قوية بالرأس فأبعده عنه مسافات، ثم بدأ يقبض على أصدقاؤه واحدا واحدا، ويضربهم ضربات موجعة، ولكمات قوية، استسلموا جميعا لها، لم يقدر أحد على مجابهة عقا 'المسخوط'، كما يسمونه. "

القصة هنا أيها القارئ الكريم ليست مجرد معطي جاهز يستطيع من خلاله أن يحوله السارد بلغته واضحة مفهومة للمتلقي، القصة هنا مبهمة في تفاصيلها قبل الحكى شفافيا، الكاتب عانى وهو يجرب عديد الأساليب في هضم قالبها السردي وصياغته، والحق أنه لن يتاح لمثل هذا القاص صاحب رواية هواجس الضياع الصادرة خارج المغرب، والتي نالت إعجاب اللجنة المشرفة على الإصدار في بوليف بيلغاريا، فك تلامسها لولا مرانه

وتمرسه على أصعب الأساليب شعريا وفلسفيا وغموضا، يحاول إذن فك رموزها من خلال تسليط الكاميرا على شخصياتها، ومثال هذا عقا القوي البنية السريع البديهية والانفعال...

إن أي قارئ لهذه المجموعة القصصية سيذهله متانة الأسلوب ورقة العبارة، وإتقان فن إيصال المعنى، بل يسحره جمال الديباجة، وتعالق الخاطرة، وبهذا لا يسعنا إلا أن نقول أن رأينا مجرد خواطر تسبح في ضفاف حكايات النقش على الحجر، تسائلها حيناً، وتستنتق دلالاتها حيناً، حفر أنطولوجي وأثرولوجي في هذه اللوحة المنجزة بعناية، المخضبة بألوان الطيف المتعددة..

فنقول في الأخير أنه لا يلتئم مثل هذا لقاص خصوصا في بداياته، أن يخلط بين التخيل الانطباعي، والحكمة بأمثلتها المجربة والمتجدرة...

يصوغها في عبارة فيسر للقارئ بمثل هذه القولة:

انقلاب:

"الحال الواقعي انقلب على الحال الافتراضي، قلص الزمن لكنه سرقه"

تجدد:

" كل مرة حينما ترتدي الطبيعة اللباس الأخضر تزهو القلوب وكأنها تنفض أثقال فصول من الأحزان، تتجدد الحياة كمن نهض من مقبرة تنبت فوقها أزهار. "

أمل:

"جمعت ذاتي الممزقة لأصنع بها قارب الأمل. "

عدم:

"تائه في الطرقات لا ألوي على شيء كأنتي عدم أو موت، كأنتي حلم  
انطفاً، أو ذكرى عابرة. أضعت الطريق والحلم. "

أقتبس من قصائدي هذا النقش الحجري بالكلمات فأهديها لك أيها  
القارئ الكريم:

ترقص الريح في تلك الربوع

الساحة المرعبة..

أمطار تهطل تبلى الفسحة

الريح تقصف المشاعر..

لتغني.. ترسم الضحى.. مشارف الليل

وحشة الظهيرة

أنا طفت بأقدامي منحدر الزيارة

عانقت الطواف

لترفع الرايات...

أنا هنا بين المنازل والأودية

غضب الريح وتلك الذكرى

وهذه العيون أجساد تلوح بالموت...

تلقى بين الأفواه والرؤى

الممطرة

لترفع الأعلام تنكس الريح الذكريات



وتكنس الشذى

هناك...

هناك...

مقبرة للمطر للماء...

للأودية

أين الحلم؟...

رمته الجبال على سفحها...

حيث الريح

جماجم المقابر...

والأحجار المكسرة

تجذبني الذكرى

تسقطنا على حمم اللهفة

لتنقش اسمك على الحجر...

ترقص رسمك لوحا ممدا..

ترقصني الذكرى...

تحملني الحجارة..

لحسن أيت بها

كاتب مغربي

في زاكورة بتاريخ: 2019/07/14



## الضربة القاضية:

قاو... قاو

سمع الرجال صوت ضربات المعول وهي تهوي على أحدهم، هناك على مقربة من القنطرة التي تتربع فوق ساقية الماء، فقاموا فزعين وهم يتأبطون معاولهم، ثم اندفعوا غاضبين نحو مصدر الصوت، كانت القلوب متوجسة وهي تستطلع الأمر، تحاول النفاذ بسرعة وراء الكثبان وأشجار النخيل لمعرفة ما حدث، بينما سارع يشو ليسبق الجميع، وهو يفكر في صديقه بخا الطاهر الذي انتدبته القبيلة لحراسة مريط باب الساقية، من عبث القبائل الأخرى والاستيلاء على حصة اليوم من الماء؛ ثم قال في نفسه:

اليوم تطيح الروح...

وهو يطلق تنهيدة حارة، وكأنه يستفسر عن مصير صديقه بخا الطاهر بعد هذه الضربات.

حينما وصل الجميع، وجدوا صاحبهم، مسرورا فرحا فحياهم، قائلاً:

— كتب لي عمر جديد.

اندهش الجميع من كلامه، ثم قال له كبيرهم:

اشرح لنا ما وقع؟

وما سر الضربات التي سمعناها، والتي كانت قوية، ضحك باخا الطاهر. ثم أشار إلى النخلة المجاورة هناك حيث تدلت منه أفعى كبيرة مرعبة، وقد قطع رأسها:

اندهش الجميع، لكن بخا الطاهر بدد الحيرة بقوله؛

تلك الضربات التي سمعتم جاءت من معولي، فقد نزلت لتفقد بعض الشقوق، محاولا ترميمها لكي لا يسيل الماء فجأة قدمت هذه الأفعى بسرعة وقد أرسلتها المياه، وما كاد تدخل حتى قفزت، ثم ضربتها ضربات فقطعتها نصفين، والحمد لله.

عند ذلك تنهد صديقه يثبو ثم قال:

الحمد لله على سلامتكم يا رفيقي بخا.

من اليوم فصاعدا، ستتركك مع شخص آخر، ليأس وحشتك، ويحذرك، ويساعد بعضكم البعض.

## سقوط:

أخرجوه من الرمال الطينية المبللة، وحملوه على الأكتاف متجهين به نحو منزله، بعد رشه بالماء والبصل، كان على وشك الموت، لكن الألفاف شمלתه والعناية الربانية حفظته، كان فاقدا لوعيه قبل أن يراه الصبية، ويرسلون من ينتشله من الحفرة التي شيبت لتحفظ مياه السيول والأمطار، حدث هذا بعد انحراف رجل عمي الكبير، وانزلاقهما، ليجد نفسه في الأسفل، وقد غمره الطين والوحل، وقذارة المكان، والرطوبة التي كانت منتشرة في الجنبات، وعندما وصل الرجال المنزل، وضعوه على الأريكة، بعد أن اطمأنوا على حالته، فيما تكفل جاره عبد السلام، بتطبيبه، وندب من يعتني به من بنات الحي المطلقات، عاش لكبير لحظات عصيبة هذه السنة، فقد توفيت زوجته، وتزوج أبناءه وتركوه وحيدا، أما هو فقد فضل عدم مغادرة قريته الصغيرة، والتي يعتبرها حياته، ويتمنى أن يقبض الله روحه فيها، سقط لكبير في الحفرة العميقة، فسقطت معه كل آماله في الحياة، كان يفكر في أبناءه الذين غادروا وتركوه وحيدا، كان يفكر في تكالب الزمان عليه، فلم يفتن لأمر الحفرة إلا بعدما وجد نفسه فيها، ولولا نباهة الصبية، وشهامة رجال القرية، ولطف الأقدار، لكان الآن في عداد الموتى، لم يكن يعرف أن هذا هو المصير الذي سيلقاه بعد سنوات قضاها وهو يسهر على تربية أولاده، ويعمل من أجلهم.

وبعد شهر مات لكبير المسكين، بعد سقطته تلك في الحفرة، فشيعة الناس إلى مثواه الأخير، وهم يعاينون جسده المغطى بالقماش الأبيض،

ونظرات الأسي تملأ وجوههم، كانوا يأملون في شفائه، لكنه كان ضعيفا  
واهنا، فلم يقو على ذلك، لقد شاهدوا بأعينهم الشيخوخة وهي تدب نحو  
القبر، في مشهد سوريالي، ثم تنام في مستقرها الأخير، وقد أخذت معها  
خيبات هذا العالم الحزين.

## نكران:

وجدت نفسي في قرיתי البارحة بعد عودتي من سفر دام عدة أعوام، كانت يتيمة، تسبح في ظلامها الأبدى، شوارعها عمياء، وأناسها طيبون إلى حد السذاجة، لم أعرف أحدا منهم، ولم يحدثني أحد، كنت وحيدا، كأنني قدمت من السماء، غريب من كل شيء، كرهت نفسي، وتمنيت لو بلغتني الأرض، فأنا لاشيء في الماضي، والآن؛ وحيد من كل شيء.

رمقني أحدهم بطرف عينه، فقير طريقه وكأنه لا يرغب في ملاقاتي، بل أخفى رأسه في عنقه ودخل بين الحشود، دون اكتراث، لا أحد يريد الترحيب بابن باجلول، الدرويش، والمسكين، الذي عاش فقيرا ومات فقيرا، وأنجب هذا التعيس الذي سافر إلى المدينة عام القحط والجفاف، هاربا من قسوة القحط ووباء الطاعون الذي ضرب القرية، في السنوات الماضية، تغير أهل القرية، أما ملامح وجوههم فقد يبست وأصبحت مثالا للقسوة والجحود والإنكار، تبدلت أشكالهم وطباعهم، اختفى المرح والفرح وراء التجاعيد التي حفرها الزمن، كأخاديد متعرجة، وظهرت ملامح أخرى متجهمة، تضمر الشر وتحبي البؤس. وتوقد شرارة الحقد.

اختفت سريرة النفوس البسيطة في القلوب، التي كانت تعيش أيام النعم، على القناعة، والصبر والمساعدة، والتعاون، ولم يعد هناك شيء يفرح الكل كان يلهث وراء مصالحه الخاصة، بنيت منازل جديدة، وبقيت أخرى هناك خلف الوادي عالقة، فظهر الحي الجديد، واختفت المنازل المهمشة وراء ما يسمى بالحي القديم، هكذا قدر للقرية أن تصير، مقسمة على

جهتين، جهة تنتمي للقديم بكل مظاهره، وأناسه البسطاء، وجهة أخرى  
يمتلكها المترفون وهم يشيدون عالما آخر خاص بهم، تغير كل شيء في  
القرية، وتنكر كل شيء لي، أحسست بالضياح، وأنا أهيم في القرية، ضياح  
استولى على كياني فأحرق قلبي، وعصف بآمالي.



## معاناة:

أفاق عيسى اليوم من نومه باكرا على غير عاداته، أحس ببطنه يفرغر ويتألم من شدة الجوع، نظر بعينيه الصغيرتين نحو السقف، فلمح عمود الخشب المثبت بإحكام وهو يحمل صفائح القصدير المعدنية، ثم نظر بصعوبة نحو ساعته، فوجدتها تشير إلى السادسة صباحا، فأدرك أن النوم خانه وغدر به، وأن لا سبيل للوصول إليه في هذه الساعة، بعد أن طلع النهار، كان يعلم في قرارة نفسه أن اليوم هو يوم راحة، وأن الشاف خليفة منحهم عطلة يوم كامل للراحة، بسبب بقاء الأشغال، واقتربها من النهاية.

لحن في سره الشاف خليفة وأعمال البناء الشاقة، والشركة، ثم دعا ربه أن يجد عملا أفضل من حياة الذل هذه، وأن يغادر عيشة "البراكّة" المقرفة، ويهرب من تفتيش "الساس البريهي"، في الدخول والخروج عند بوابة الشركة، و"كريدي" زايد "مول الحانوت"، الثرثار. وحياة "الزوافرية" المملة.

أغلق عينيه وأذنيه، ثم تذكر طفولته في قريته الجميلة الهادئة، لمح جدول الماء الصغير وهو ينساب بين رجليه الصغيرتين، ثم نظر نحو الأعلى فأبصر وجه والده البري، وهو يقف فوق الرابية الخضراء، حاملا معوله، وهو يحول اتجاه المياه، ليسقي الخضرة، والغلة. تذكر تلك الأيام الجميلة؛ فأسرته حين الطفولة، فتمنى لو يرجع صغيرا كما كان، وتمنى أن لا يستيقظ أبدا من حلمه الجميل، غير أنه أفاق مذعورا على وقع خطى متثاقلة، ولفظ كسر هدوء الصباح، فتشائم، كان يعرف أن بعض "المعلمين"، يطلبون من الشاف خليفة، جعل يوم الأحد يوم عملهم، لمضاعفة أجر الشهر، كانوا يقومون

كل صباح للعمل مع " العطاشة"، الذين يجدون راحتهم في العمل، خطوات مزعجة جعلته يتذكر وضعه الآن، فكر عيسى في الزواج، ووضعها الحالي، فأصابه هم شديد، وانقباض، غير أنه سرعان ما تذكر قوله تعالى: " إن يكونوا فقراء يغفهم الله من فضله"، فهدأت نفسه، أراد الخروج من "البركة"، غير أن نفسه لم تطاوعه، أثر أن يصبر قليلا، حتى لا يمر بوجوه "النحس" كما يصفهم، وهم متجهين نحو العمل، حاول أن ينام وألا يستسلم، عليه يزيل هموم المستقبل من فكره الشارد.

أخذ عيسى وسادته ثم وضعها فوق رأسه، فاسترسل في نوم عميق.

## شجار:

كان الجميع متحمسا لحفر الساقية، فانقسمت القبيلة لفتتين، فئة تحفر بالفؤوس والمعاول؛ وفئة أخرى تقوم بجمع التراب وإلقائه خارج الساقية، استمر الحال ساعات، كان فيه العمل شاقا، غير أن التهليل خفف عن الرجال التعب البادي على الوجوه.

نزل عقا للساقية، حاملا معه معوله، شد وسطه بحبل متين كجذع نخلة، ثم أخذ في الحفر المتواصل، كان عقا قوي البنية، ضخم الجثة، مفتول العضلات وطويل الشارب، قسما وجهه قاسية، يربع بها من ينظر إليه، بينما على الضفة الأخرى ينهمك رجال آخرون في العمل، غير أنهم يميلون نحو الدعابة، مما جعل عملهم في نقل التراب والحجر بطيئا بعض الشيء، حمل أحدهم وهو إدريس الهييل الطوب وخبأه في جيبه، ثم أخذ يضرب به الرجال وهم في غفلة من أمرهم، فكان أصدقاؤه يضحكون على المشهد، فاتخذوا العمل تسلية ومزاحا، وسرعان ما سمع عقا طنطنة طوبة وقد ألقاها أحدهم عليه، حمل عقا معوله، دون أن ينبس بكلمة واحدة، ثم توجه نحو الرجال، وأمام دهشتهم أمسك بإدريس الهييل، فوجه له لكمة قوية أسفل البطن، ثم هوك على رأسه بقفا المعول، حتى فقد وعيه، فسقط إدريس الهييل مغميا عليه، اندفع أحد أقرباء إدريس، وهو المعطي، محاولا النيل، من عقا، وتوجيه لكمة غادرة له، غير أن عقا ظل في مكانه، وقد ساعده طولُه على مشاهدة الجميع، اكتشف أنهم كانوا جميعا أقزاما أمامه، فأمسك برأس المعطي، وضربه ضربة قوية بالرأس فأبعده عنه مسافات، ثم بدأ

يقبض على أصدقائه واحدا واحدا، ويضربهم ضربات موجعة، ولكمات قوية، استسلموا جميعا لها، لم يقدر أحد على مجابهة عقا المسخوط كمايسمونه.

بعد برهة تدخل الناس لفض النزاع، فامسكوا بعقا القوي، ثم قدم العسكري، وتبعه عون السلطة، أخذوا الجميع نحو مخفر الشرطة، قبضوا على عقا والمعطي، فحرروا لهم محضرا، ثم وضعوا المعطي وعقا في سجن منفرد، ثم بعد ذلك أحضروا عقا والمعطي، وطلبوا من المعطي مسامحة عقا، فأبى، ثم رفض كل شخص منهم مصادحة الآخر، وأمام الرفض، لم يجد الشرطي، حلا آخر، فأعادهم إلى السجن المنفرد، وحينما علم عمي الغالي بخبر اعتقال ابنه المسخوط عقا، وكان أبا ورعا يخاف الله، ذهب ليسأل عنه، ثم أحضر له قفة مليئة بالخبز والسردين، أخذ عقا القفة وقد قتله الجوع، ثم اقتسم الخبز مع المعطي، الذي تفاعل مع الموقف، ليقرر مسامحة عقا، وإلغاء المحضر.

فتم إطلاق سراح الجميع.

## سرقة بريئة:

ولجوا الحقل خفية، وهم يحثون الخطى على أطراف أصابع أرجلهم، بصمت وإصرار ونفس طويل، وينظرون نحو أشجار اللوز والرمان المتلألئة، كانوا أربعة أولاد، قدم بهم الطريق المحاذي للحقل، فأغراهم شيطانهم لكي يأخذوا بعض الثمرات، فنفذوا الفكرة دون إطالة التفكير، بينما كمن لهم با عروب الشيباني خلف جذوع النخيل وأعواد القصب، كان با عروب يحب أرضه كثيرا، لا يقدر على مفارقتها؛ لذلك كان يبني فيها وأحيانا يراقب وهو مختبئ خلف الأشجار، فكشف بهذه الحيلة الكثير من النشالين والعاثين، فكان يجازي كل واحد على قدره، غير أنه مع ذلك كان طيب القلب، كريما مع أهله ورعا، يتق الله في الناس ونفسه.

وسرعان ما ظهر الرجل للأولاد كأنه نبت تحت الأرض مع الأعشاب، ظهر الرجل وهو يشهر مديته مهددا ومتوعدا، بينما قفز الأولاد وهم فزعون، من طلعتهم، ثم تفرقوا حول جنبات الحقل، باحثين عن مخرج ينقذهم من الورطة، غير أنه أمسك بأحدهم، وقيده ثم قاده أمامه، مهددا إياه بأنه سوف يشكوه للقائد والمخزن، لكي يقتص له منهم، ثم ما لبث أن وجد أحذيتهم، فأخذها معه، ثم أطلق الولد، وحين ما تعب الأولاد، عادوا للحقل، وهم يستعطفون با عروب من أجل أحذيتهم، مع ضمان عدم العودة مرة أخرى، ولما سكت عنه الغضب، رمى لهم بنعالهم، وقال لهم إياكم والعودة مرة أخرى، ثم أمر أكبر الأولاد بقطف بعض الثمرات، ففعل،

وانصرفوا شاكرين لصنيع الرجل الذي أحسن تعامله معهم على الرغم من  
عملهم المشين.

# انقلاب:

الحال الواقعي انقلب على الحال الافتراضي  
قلص الزمن لكنه سرقه.

## تجدد:

كل مرة حينما ترتدي الطبيعة اللباس الأخضر تزهر القلوب وكأنها  
تنفض أثقال فصول من الأحران، تتجدد الحياة كمن نهض من مقبرة تنبت  
فوقها أزهار.



# أمل:

جمعت ذاتي الممزقة لأصنع بها قارب الأمل.

## عدم:

تائه في الطرقات لا ألوي على شيء كأني عدم أو موت، كأني حلم  
انطفأ، أو ذكرى عابرة. أضعت الطريق والحلم.

## ضباع

دخل الحمام بسرعة، تلفت يمناً ويسرة، وجد المداوم أمامه كأنه ينتظر قدومه، رحب به ثم سلمه السطل والصابون، دفعه للداخل ثم تركه في الظلمة وانصرف، نظر أمامه فلم يجد أحداً، اكتشف أنه وحيد في الظلمة والفراغ، وسرعان ما اكتشف أن اليوم هو يوم الاثنين، وأن أغلب الناس لا يذهبون للحمام إلا في آخر الأسبوع، فكر أن ينادي المداوم ليخلصه من هذه الورطة، لكنه خاف أن يعنته بالجبان، فتشجع، ثم ولج الدهليز الثاني الذي كان أظلم من الأول، وجد نفسه في قبر للأحياء، معد خصيصاً له، اكتشف بأن المداوم أطفأ الأضواء، وتركه يهيم في سرايب ظلماته، ملأ سطله ثم وضعه بجانبه، ثم دلق الماء على رأسه ومرر الصابون على ظهره، لكنه تفاجأ بشيء يشده من الأسفل؛ ارتعدت فرائصه حرك جسمه النحيل، لكنه لم يتحرك، كأنه التصق بالأرض، أصيب بالدهشة، حينما علم أن يدا خرجت من قناة تصريف المياه، لتقبض على معصم رجله اليسرى، صرخ بقوة، لكن أحداً لم يسمعه، أمسك الصابون بكلتا يديه فهووك به على اليد التي أمسكته، وجه لها ضربات بالفة، حتى أدماها، سالت الدماء وانفجرت العروق فأعلنت اليد انفراجها، ولما دخلت أطبق عليها، ثم ملأ السطل بسرعة ووضعها فوقها، وغادر المكان بسرعة دون أن ينظر ورائه وجد المراقب نائماً فحركه وحينما استفاق ناوله المبلغ، ارتدك ملابسه بسرعة ثم غادر المكان.

كان وجهه متجهماً يملأه الأسى، ضيع المال والصابون.

## شيوخة:

عمي الروداني شيخ كبير متعب، ضعفت قواه فلم يعد قادرا على الحركة، كانت زوجته خربوشة العورة، تلفه في سلهام أسود وجلاب من الصوف، ثم تحمله وتضعه أمام عتبة باب المنزل الصغير، ليستدفي كل صباح هاربا من قساوة البرد الذي يملأ زوايا وجدران الدار، ثم تغير مكانه نحو الظل، عند الظهيرة، حينما تشتد حرارة الشمس، اتفقت القبيلة في شخص الرايس دحمان، على جمع التبرعات لمساعدة الرجل وزوجته، وشراء الدواء الذي يحتاجه عمي الروداني، نمر عليه حينما كنا صفارا، فنجده على تلك الحالة، فكنا نشفق على حاله، وكنا نرى زوجته خربوشة العورة التي اختيرت لمساعدته والعناية به، وقد لقيت خربوشة بالعورة، لأنها لا ترك إلا بعين واحدة، لكنها مع ذلك كانت زوجة أمينة وحافظة لزوجها الروداني، صابرة لاتكل ولا تمل في العناية به، كانت امرأة طيبة تعاملنا نحن الصغار معاملة جيدة. فضلا عن عملها في صناعة الأواني والصحون من جريد وسعف النخيل، كنا نجدها كل يوم جالسة بجانب زوجها وقد جمعت الكثير من سعف النخيل، تتعمده بالتشذيب والتنقية ثم تقوم بصبغه، صبغة طبيعية متعددة الألوان، ثم تتركه في الشمس ليحفظ، فتسج به أواني وسلال، بمهارة فائقة قل نظيرها، ثم تحمل ما أتقنت صنعه فوق رأسها، متجهة به نحو السوق، تبيعها لتساعد زوجها ونفسها بما قدرت عليه، فكانت مثالا للمرأة المكافحة والمثابرة.

ظل عمي الروداني على تلك الحال حتى وافته المنية، ذات يوم حينما كنا في طريقنا إلى المدرسة، فسمعنا الخبر، الذي نزل علينا كالصاعقة؛ كنا نشهد موت الأشرار في الأفلام والرسوم المتحركة، غير أن الواقع أثبت لنا أن الأخير هم من يموتون دوماً.

# مأساة:

أكتب مأساتي بيدي، وأعزف سمفونية القدر

## وليمة:

دعوه لوليمة، ذهب غضباناً، دخل بين الجموع، وجد نفسه في قسم الشرطة، بجسم نحيف، ووجه شاحب، وبطن فارغ.

## قصة حزينة:

ضرب جفاف القرية، مات النخل.



## هروب:

– هرب من المجتمع، طارده مشاكله، خنقته، اتتحرق، تبخر في الهواء، نزلت من جيوبه فواتير الماء والكهرباء والبقال.

## حلم:

رأها في الحلم، اتصل بها... طلب الزواج.  
اكتشف أنها علبة صوتية.

## غرق:

خرج من غرفته لاستنشاق الهواء. قادتة قدماه... وجد نفسه في  
عرض البحر... غرق في الخطايا والذنوب.

## ذئبة:

دخل داره، وجد الذئبة والكلاب، أطعمهم الجيف... نام الكلاب، في حين  
قام هو بحراسة الذئبة.

## عفاريت:

اكثرك غرفة، لم يسدد الثمن، أدركه النوم من شدة الإعياء، طالبته  
العفاريت بالثمن.

وحينما أراد الإقامة لليلة ثانية سدد على دفعيتين.

## شؤم:

خرج من منزله، نحو العالم الخارجي، صادف الأفعى، الذئب، العقرب،  
النسر الأسد، الثعلب، الجاموس، الحمار.  
هرب إلى العالم الافتراضي.

## غربة:

رجع بعد غيبة طويلة، رآه أهل قريته، لم يتعرف على أحد منهم، قتله  
إحساس الغربة بينهم، تمتم قوله: ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين  
وازدادوا تسعا.

## اعتزال:

شرع في كتابة قصة، صنع الشخصيات، تخيل الأحداث خالف بينها، زل قلمه وتكسر... تشابهت عليه الوقائع، أفلتت منه الشخصيات وهربت، استقلت بنفسها، فقد الحبكة والقفلة، تبعتها، يئس فتركها... ارتكبت حماقات ورذائل لا حصر لها، ووقعت أحداثاً مأساوية وجدت الشخصيات نفسها دون حبكة في عمق الأحداث، تصارعت فيما بينها، بعد أن ضلت الطريق، حاولت العودة من حيث قدمت، لكنها لم تعثر على أصل القصة، بعد موت البطل والبطلة، وبعد تناسلها وكثرتها، كرهت نفسها بعد أن أصبحت لقيطة، لا أصل لها ولا جذور ولا معنى لها، مفرغة من وظيفتها، تمنى أن يعثر عليها السارد ليوقف هذه المهزلة، أو يأخذ هذه القراطيس بعذاب، فيحرقها.

طل عليها السارد كان على غير عادته، اكتشفت خبث سريرته، بضحكته شريرة وأسنان نخرها السوس، سولت له نفسه أمراً، شعرت الشخصيات بالرعب، صكت أسنانها، جمد الدم في عروقها، تمنى لو لم تولد، هربت،

احتمت بالحبكة واستجارت بأهلها الأحداث، آه لو يرجع الزمن، لو أن السارد استخدم هذه التقنية، لكن السارد اعترض سبيلها وأعادها للواجهة، اغتمت، مرضت مرضاً شديداً، ماتت. محاها السارد بالمحاة. بدأ بكتابة قصة جديدة، تسارعت الوقائع، أهلك الشخصيات نفسها، دفنها في قراطيس ثم أحرقها بعدما جفت دموعه بكاء من أجلها.

اعتزل الكتابة.



## غفوة:

قدمت من بعيد كنت أركض بسرعة بعد أن لفحني حر الظهرية. وصلت ضريح "سيدي داوود"، فدخلته مخافة ضربة شمس موجعة، هناك استلقيت بجانب الضريح، كأني ميت ينتظر دفنه، أو جثة لفظها القبر، فاستسلمت له، أحسست بطمأنينة وسكينة المكان، غفوت غفوات قصيرة، فغلبنى النعاس، رأيتني جالسا أمام القبر الذي انفتح من تلقاء نفسه، فخرج منه رجل قوي البنية، وضاء الوجه، له شعر أبيض كثيف، يرتدي سلهاما وملابس ناصعة البياض، أحسست بالدهشة والقوة في نفس الوقت، وضع الرجل رجله اليمنى فوق القبر، ثم نظر نحوي بعيني الثابتين، أما أنا فقد نظرت نحو الباب، كأني أدرس المكان، للتفكير في خطة من أجل الهرب. ولما رأيت أخي واقفا هناك خلف الباب وقد دخل علينا فجأة، شعرت باطمئنان، وابتسمت للرجل.

فرك الرجل يديه دون أن ينبس بكلمة، ظهر ضوء ساطع، حجب الرؤية، سرعان ما كشف عن صناديق ملاء بالذهب الأصفر وهي تلمع، لم أصدق عياني، لكنني أدركت أن الرجل لا يشعر بالراحة، وكأنه واقع في مشكل، دار حوار قصير بين أخي والولي:

أخي؛ ماذا سنفعل الآن بهذه الصناديق؟

الولي؛ لا أعرف حقا.

أخي؛ أ لا يمكن لك حفر حفرة ووضعها فيه؟

الولي؛ لا هذا مستحيل، ليس لدينا الوقت، كما أن رجوعها قد يسبب في مقتلي، أو نسف الضريح، من طرف المهووسين بالتنقيب عن الكنوز، وقد يحضرون معهم العفريت؛ اسحاق، فيعطل الأقفال، ويفسدها، أخي؛ للأسف لا يمكننا مساعدتك، فنحن لا نملك مكانا لتخزين كل هذه الصناديق.

الولي؛ ليست هناك سوى طريقة واحدة، تجعل هذه الصناديق تختفي للأبد.

أخي الأكبر؛ ما هي؟ قل لنا.

الطريقة تتمثل في الخطة التالية: نأخذ أخوك هذا، ثم نضعه في القبر، بعد ذلك أقرأ تعويذتي، التي ستفتح لنا حفرة عميقة نضع فيها؛ الصناديق، ثم بعد ذلك نخرج أخاك حينما، نستيقن أن الصناديق نزلت بسلام.

غضب أخي وقال له؛ وما هي ضمانة عدم تعرض أخي للأذى، في القبر، إن نزل؟

الولي؛ اطمئن؛ أخوك، نائم الآن، سيفتح عينونه بعد ساعة من الآن، لا تقلق عليه، أخذوني ووضعوني، في القبر، كجثة هامدة لا حول لها ولا قوة، ثم قرأ تعويذته، حضر العفريت، اسحاق، فحفر الحفر ودفن الكنز، كنت أراهم، يطلون علي من مخرج القبر، وكأنهم يطمئنون، على سلامتي، كنت على وشك معرفة النهاية، لكنني، فتحت عيوني، كانت الحرارة قد انخفضت قليلا، أحسست بتعب شديد، ودوخة، أردت التفكير، في ما حدث، لكنني نسيت كل شيء تقريبا، حملت جسدي المتهالك، ثم غادرت المكان.

## قصة الغبي والأغبي منه:

ظل الغبي يخطط للسرقه أياما وليال متتابعة، وقد حول المنزل إلى مختبر للتخطيطات، وبين الفينة والأخرى يوقظ الأغبي منه لشرح التفصيلات المملة لخطته. وذات يوم أيقظ الأغبي منه على حين غفلة، حدق فيه طويلا ثم قال:

أريد أن أخبرك بسر خطير؛

أنا أكبر فاشل في التاريخ..

لم تصدق.

أنا أغبي منك غباء أيها الأغبي مني، نعم أنا غبي لأنني ضيعت على نفسي فرصة النوم طيلة الأيام الماضية، هيا قم بنا للنوم.

في صباح اليوم الثالث، منح الغبي للأغبي منه ورقة الخطة النهائية، ثم لقنه التعليمات وأرسله.

و بعد انتظار طويل عاد الأغبي منه من الاختبار الذي وضعه فيه الغبي محطم العزيمة خائر القوى. فحجل من الدخول، إلا أن الغبي أمره بالدخول فورا. فجرك بينهما الحوار التالي:

الأغبي منه: أرجو أن تسامحني سيدي. وأن تعفو عني فأنا لم أعد قادرا على مساعدتكم.

الغبي: لا عليك يا بني كلنا نخطئ.

الأغبي منه: لكنني لم أستطع سرقه المنزل؟!.

الغبي: كم أنت بليد يا بني. فكم حاجة قضيناها بتركها.

حضر لي كأسا من الشاي.

الأعبي منه: ههههه حاضر سيدي

في اليوم الرابع: ذهب الأغباء لسرقة مقر البنك، دخل الفبي من الباب، في حين تنكر الأعبي منه في زي عامل نظافة، فهياً له الحراس كل السبل للدخول، دخل الأعبي منه، ثم اتجه صوب غرفة الطوارئ، أخذ بذلة رجل مطافئ احتياطية، ثم منحها للفبي الذي ارتداها في " الأسانسير"، ثم دخلا معا غرفة الخزينة.

قال الفبي: وأخيرا أنهينا سرقة الخزنة وأخذنا النقود، فهيا لنخرج من هنا قبل أن تحاصرنا الشرطة.

قال مساعده الأعبي منه: به به به به.

قال الفبي: ما بك؟ ماذا هناك؟

الأعبي منه: لقد علقت يدي في الخزنة. وأنت أغلقت عليها بإحكام.

لكن لا عليك استدع فقط الشرطة للتحقيق في التارلة. هل يدي التي أقفلت الخزنة أم أن الخزنة هي المستضيفة؟.

غضب الفبي ثم أخذ مطرقتة فضرب بها صندوق الخزنة بقوة، ثم اقتلع من مكانها، وأخذها معهم، ثم غادرا المكان خفية.

وضع الأعبي منه صندوق الخزنة في مطرح النفايات ثم جرها معه، في حين عاد الفبي إلى مكانه، حضر المحقق وهو يرتدي معطفا أسود وطربوشا يحمل اللون نفسه، ثم عاين المبنى، لم يجد أثرا لشيء، لكنه سمع بعض

المعلومات تؤكد أن اللسان اثنان شاهداهم وهما يقومان بتنظيف غرفة الخزينة.

عاين المحقق المكان ثم قال؛ وهو يعرفهما أحق المعرفة:

سواء أتفوق الغبي أو البليد في سرقة المنزل.

يبقي الغبي غيبا ويظل البليد بليدا.

في المنزل، قرر الأغبياء فتح الخزانة، فأحضرا معهم حدادا،

قطع الحداد نصف الصندوق بآلته، ثم فك يد الأغبي منه الذي بدأ يشعر

بالحرية، في حين تفاجأ الغبي أن الصندوق المسروق فارغ يتضمن فقط بعض

الرسائل الورقية، فأخذها وألقاها من النافذة ثم قال:

أنا فاشل، أنا فاشل.

قرر الغبي أن يتوب عن سرقة المنزل بحرقه لجميع خططه. فقام بتزويج

الأغبي منه من ابنته الحمقاء وإرسال البليد إلى القرية عند عائلته، في حين

تقاعد المحقق من منصبه ليتفرغ لصحته.

وعاش الأغبياء في سعادة دائمة.

تصبحون على يوم قل فيه الأغبياء وكثر فيه الأذكياء.

## جنون:

عاد من سفر طويل، وضع حقيبته الكبيرة على الأرض أمام الدار المبنية بالطين، والقصب، وسعف النخيل، غمرته رائحة المكان، والذكريات القديمة، تذكر زوجته هنية، أما أولاده فلم يتذكر أحدا منهم سوى ابنه الأكبر الطايح والإبن الأوسط عبد الخالق، تساءل في نفسه هل سيعرفونه بعد غياب دام عدة سنوات، طرق الباب مستأذنا، لم يجبه أحد، ضاع صوت طرقاته في الهواء، انتظر طويلا، أشعل سيجارة لقتل الملل، تأمل في نفسه المتعبة، وشيخوخته المنكسرة، ضاع شبابه في العمل من أجل أولاده، ضحى بكل شيء في سبيل تربيتهم، كان يعمل ليلا ونهارا من أجلهم، يتصل بزوجه هنية، يسجل طلباتها، ثم يرسل لها كل شيء مع شاحنة با علال، يرسل المؤونة والمال، كان طول حياته يحلم بهم ليلا ويعمل لأجلهم نهارا، يحمل معه صورة ابنه الأكبر الطايح يتأملها كل يوم، ويقبلها أيام المحن، صبر لأجلهم ذاق المرارات، والويلات، والآن ها هو قادم بعد هذه السنوات، ليكون معهم وينعم بالراحة والطمأنينة بجانبهم، انتبه من تأملاته، فوجد الباب على حاله، موصد بإحكام، في هذا الصباح البارد، دقق النظر، فلاحظ بأن عليه قفل كبير، استنتج أن لا أحد في الداخل، فتساءل في نفسه، عن سبب مغادرتهم للمنزل، اكتشف أنه وحيد، فازدادت حيرته، وتعبه، تمنى أن ينقذه أحد أو ينتشله من موقفه هذا، ليوضح له سبب قيام أولاده بمفارقة المنزل، أبصر أحدهم قادما نحوه، حياه بسرعة:

اسي السدراوي، جاري العزيز

أهلا بعودتك!

استدار الرجل ليصر محاوره، سلم عليه الرجل وعانقه بقوة.

أمام ذهنه وحيرته، قال له الرجل: أتا جارك الطيب، هل نسييتني اسي

السراوي بن محمد؟

دقق السراوي النظر في الرجل ثم قال:

نعم اسي الطيب بن الحسين، أعرفك.

أخذته معه اسي الطيب لمنزله، ليستريح، ثم أخبره بسفر عائلته، إلى وجهة غير معلومة، وأمام ذهول السراوي بالخبر، منحه اسي الطيب حديدة لتكسير القفل، دخل السراوي داره بعد تكسير القفل وتحطيم الباب، وجدها فارغة، العقرب جمعت أولادها والأثاث، ثم غادرت بلا رجعة، استلقى فوق الكنبة وقد اغتم، فكر في الأمر مليا ثم أطرق، لابد أنه يحلم، غير أن كل شيء يقول العكس، لم يكن يحلم، كانت الحقيقة المرة التي لا غبار عليها، هربت العقرب بعد أن فعلت فعلتها، أخذت معها كل شيء، المال والأولاد، ضربت بعرض الحائط كل تضحياتها، تنكرت له ولما فعله من أجلها.

جلس أياما وأيام يفكر، في مصيبتة، وأولاده، مرض جسده المنهك، أصبح طريح الفراش منذ تلك اللحظة، زاره اسي الطيب جاره عدة مرات، ثم تكفل به، أحضر له بعض الأغذية، والطعام، ازداد مرضه واستفحل، لم يعد يتذكر شيئا ولا أحد، يئس منه جاره فتركه، بدأ يخرج من الدار، ثم يعود اتسخت ثيابه وتدهورت حالته، فقد عقله وأصيب بالجنون.

ظل السدراوي على تلك الحال أعواما وهو يعاني من الجنون، وآثاره عليه،  
كبرنا نحن فرأيناه على تلك الحال، كنا نلقبه بـ " السدراوي الهيبيل"، ولم يكن  
لدينا أدنى فكرة لما وقع له، أما زوجته فقد رآها أحدهم في مدينة أكادير  
هي وأبناؤها، إلى أن سمع به أحد الأبناء فعاد لأخذه من القرية، وقد قيل لنا  
بأن حالته تحسنت وهو الآن على ما يرام.



## حبة خردل:

حينما ألج السوق، أمقت نفسي، أجدني كيانا مفقودا، أو جثة تسير، أجدني ذبابة أصفر وأصفر كأنني حبة خردل، أجدني ذاكرة مفقودة، تعكس دواخلي المتعبة والحزينة، أسبح وأسبح في نزهة الطفولة، التي طبعت علاقتي بالسوق.

تتعالى أصوات الناس كأنها موجات تكسر حاجز الصمت، أنظر بعين واحدة فلا أكاد أرى أحدا، أرى الناس يمشي بعضهم خلف بعض، جموع تتمشى في طابور واحد كأنه يوم الحشر.

تتناهي إلى أذني أصوات وحشرات، تملأ الفراغ المتجذر في كياني. أقف هناك وحدي في الصف، لأفسح المجال للناس، وهم يمرون، يخفون رؤوسهم في صدورهم، كأنهم جذوع نخل خاوية، شربت من ماء الشقاء، أقف هناك لأملاً الفراغ ثم أعود أدراجي كأنني فقاعة تنتشر في الهواء، كأنني بذرة تنمو وحدها في اللاشيء والعدم، بذرة أصلها طيب وفرعها في السماء، أنا لا شيء، أنا الفراغ والعدم.

## إلى أحمد بوزفور:

حلم:

كبر حلمي فجأة

تمشى على ساقيه المجهدين

تمطى قليلا بعد أن أفاق من نوم عميق

كان كل شيء يوحي بأنه سينهض بعد مضي سنوات، يستفيق مكرها، يتحسس جسده الخامل المنهك، ويتأمل في ذاته المنكسرة، والممزقة بين زمنين، زمن الذاكرة وزمن الضياع، يستكين لأوجاعه المحطمة، ويندب حظه العاثر، يتساءل مع نفسه كيف نام كل تلك السنوات؟، وكيف خان الزمان؟، ها هو الآن يقف ليعيد ترميم ما ضاع من ذاكرته، لكي يعيد رسم كلماته ويسترجع صوته المبحوح.

ماذا يفعل بعد ما فاتته أشياء كثيرة، هل يستطيع تحقيق ما عجز عنه؟

كان حلمي مثل طفل صغير، يكبر ويكبر، يتضاعف نهمه، فيحب الحياة بشغف، يتعلق بها في وله وعشق، غير أنه سرعان ما يتعب فينكفئ على نفسه، انطفاً حلمي مرات ومرات، خفت بريقه، تلاشى، في العتمة والفرغ، ضيع أيام وليال، قبل أن يستفيق، لكن سرعان ما انطفاً من جديد.

## ذكري:

أسترجع ذكراه في مخيلتي، أحلم به، أقرأ ما يكتب بشغف، أنصت لرأي الناس فيه، كل هذا الحب يحمله هو فقط وحده، أصبح عاشقا أبديا، ورمزا لا يفنى. حينما أقرأ له كأني أقرأ لنفسي، لأنه يكتب ما أعجز عنه، يعشق الكلمات فيغازلها، ويستبيحها كأنها غانية فاتنة، يهتك أسرارها المغلقة، يحمل مفتاحها معه، كنزه الذي لا يفنى. يملك إزميلا ساحرا يشحذه للكتابة، فيطيع كأنه حفظ أسلوب صاحبه، يكتب فتتدفق الكلمات كشلال هائم، أو صنبور ماء جامع، تتراقص الكلمات طربا كأنها ترتاد عالم الخيال. تطرب تفني، وتنصت، ثم تنام.

## الرجل الذي يركض وحيدا:

أحسست أنني انتهيت، بعض ركض طويل هناك في الغابة، فتوقفت لأستريح، كانت دقات قلبي ترتفع، انحنيت لألتقط أنفاسي غير أن العرق كان يتصبب من جبينني بغزارة لا تصدق، وحينما مددت يدي لأقيس حرارة الوجه، صدمت، حينما اكتشفت أن الدم يسيل من أنفي بغزارة. سال وسال، دون توقف، كأنه نهر جار...

أما ظلي فقد امتد هو الآخر بلا نهاية، ليشكل رجلا آخر لا أعرفه، رجل يتناسل كالشجر، يقصر ويطول كالود، يأكل من خشاش الأرض؛

أكل الحجر والقصب والشوك، ثم أخذ في الركض بعدما رأي، كانت الأرض الرملية ناعمة فأحسست بالرغبة في الجري، أخذت نهلي ووضعتها في مرفقي، ثم جريت هذه المرة بسرعة، أدهشت الرجل، تركته هناك برفقة الغبار والتراب، يصرخ ويعوي، كأنه يرغب في شيء ما عوت الريح فأقفلت أذناي، وصكت أسناني، فلم أعد أسمع شيئا، اختلط صراخ الرجل بعويل المارة، والغبار المتناثر هناك، جالت عيناى بين الأشجار وهي تتطلع وتترقب في يقظة، كأنها تريد التأكد من بعد الرجل، الذي يجري هناك. في لهفة وكأنه يستعجل الوصول إلي.

كنت أنظر إلى الشجر وإليه، فأراهما بعين واحد، شخص واحد يدور في الفلك، ويسبح، كنت أنا ذاك، وهو أنا وحيدان يجريان في العراء، يلبس أحد منا الآخر ويحتويه، كنت أحس برجله وهي تتقاطع مع جسدي النحيل المتعب، في

تناغم وقد غمرته أشعة الشمس الذهبية، لم يرغب في مفارقتي، كنت كلما  
جريت أكثر، التصق بي أكثر فأكثر، توقفت، أخذت نفسا عميقا، أخذت الرجل  
وضعته في جيبتي ثم واصلت الركض.

## النقش على الحجر:

كانوا كثر، شكلوا فريقا للحفر، داخل الجبل الأزرق الممتد هناك في عين الشمس، بينما أقام المدير منصته الكبيرة المغطاة، ذات الأبواب الأربعة المذهبة، فوق هضبة قريبة من الجبل، يصعد إليها عبر سلم حديدي يعمل بالطاقة التي تصدرها الشمس، أما هم فقد غابوا عن أعين الناس شهورا وشهورا وهم ينقبون عن الذهب، وجد الفريق الأول من الجنود نفسه محاصرا بين الجبل والمنصة، منهمكا في إعداد آلات الحفر الثقيلة، فعاش أسوء أيامه تحت الشمس، أما الفريق الثاني فقد دفن نفسه حيا في الجبل؛ بعد أيام خرج المساجين من الجبل وهم يعلنون عن اكتشاف عظيم؛ عبارة عن حجر منقوش بكتابة سومرية؛ فأمر المدير العالم بالنزول، وقراءة الكتابة:

وجد العالم المساجين منهكين، يتفرسون فيه بوجوههم الصغيرة المتعبة وقد تصبب العرق منها بغزارة:

عدل من نظارته الزجاجية ثم ركز على الحجر تأمل فيها؛ ثم قرأ هذه العبارة بصوت عال:

— من يبدأ عملا ولا ينهيه، يخسر تعب.

عند ذلك أمر المدير المساجين بمواصلة العمل، وأن لا يراهم إلا إذا أحضروا معهم الذهب، أو حكمة منقوشة تعلن انتهاء العمل.

عاد المساجين مرة أخرى للحفر مندهشين من الحكمة، التي جعلتهم  
عبدا في أيدي المدير قاسي القلب.

بعد شهر عثر المساجين على حجر آخر منقوش، ففرحوا فرحا كبيرا،  
ثم أخرجوه للمدير لكي ينظر في أمرهم؛  
قرأ العالم مرة أخرى بصوت عال:

— لا عمل لمن لا نية له،

عند ذلك قهقه المدير ساخرا؛ عودوا إلى عملكم أيها الأغبياء، لقد  
كنتم تعملون وأنتم تفكرون، في الخروج والحرية، فكروا في عملكم بنية  
صادقة، وقلب مؤمن، آنذاك أصفح عنكم وأحرركم.

أعدكم في المرة المقبلة إن قال الحجر بالحرية، ستتحررون، أعدكم  
بذلك.

عند ذلك طأطأ العالم رأسه، كأنه يواسي المساجين المساكين، ثم جاء  
الطبيب فأعطى لكل واحد منهم بعض الأدوية، وأوصاهم بالأمل والصدق  
في العمل.

توجه العمال صوب الكهف، بنفوس متعبة وقلوب محطمة، وهم  
يفكرون في الحجر الذي كتب عليهم هذا العذاب، والذي لم يستطع أن يقول  
كلمة واحدة، تجعلهم أحرارا، فكروا في عدم إخراج الحجر والتركيز في  
العمل لأن ذلك هو القدر الذي لا مهرب منه.

بعد شهوور من العمل المتواصل، وجدوا حجرا آخر غير منقوش، هذه المرة، فقرررو تركه ومواصله الحفر في تذمر شديد، غير أن الحجر ظل صامدا أمام فؤوسهم، فقرررو اقتلاعه وحمله إلى المدير؛  
تواصلت ضربات معاولهم وفؤوسهم، حول الحجر، شهرا كاملا، لكنهم شعروا بمتعة العمل لأول مرة، رغم صلابه الحجر، نقش أحدهم عليه، عبارة يقول فيها:

كل شيء يزول إلا العمل الصالح.

ونقش آخر:

ليس هناك بديل للعمل الجاد

أما الآخر فقد كتب وهو يشعر بالسكينة تغمر قلبه المؤمن:

لا عمل لمن لا نية له.

ثم قال زعيمهم:

تبدأ منطقة الحرية عند انتهاء العمل المحدد بالضرورة بعد أيام من الضرب المتواصل؛ تفتت الحجر فسقط منه جزء، أخذه المساجين ثم غادروا الكهف:

عندما خرجوا لم يجدوا أحدا في انتظارهم، حتى المنصة اختفت، كأنهم يحلمون:

وجدوا كوخا صغيرا فعلموا أن أحدهم مازال هناك ينتظرهم؛

خرج الرجل من الكوخ، ثم ابتسم لهم وحياهم

فتحلقوا حوله؛ فعرفوا أنه العالم الذي كان بانتظارهم:



بكى العالم كثيرا حتى ابتلت لحيته ثم قال:

الحمد لله على نجاتكم يا إخواني، كنت أظن أنكم لن تخرجوا من هنا أبدا.

لقد غادر المدير هو وجنوده، بعدما تلقى الأوامر بإخراجكم، غير أنه لم يفِ بوعده في إخراجكم، فأمر بسد باب الكهف عليكم بالحجارة، لكن الطبيب اعترض عليه ورفض ذلك، فعذبوه كثيرا ثم رموه في الحر، إلى أن مات.

أما أنا فقد خيرني المدير بين أن أذهب معكم أو أدخل الكهف، ففضلت دخول الكهف، غير أن الله حفظني، فخرجت منه بعد أيام لأنني علمت مواقيت الليل والنهار، فحفظت طريق النجاة، أما أنتم فماذا عنكم.

بكى المساجين كثيرا على أخيهم الطيب، وبعد دعائهم له بالرحمة ومواساتهم للعالم؛ أروه الحجر، تأمله العالم مليا؛ ثم قال:

يا إلهي لقد عثرتم على الحجر الكنز، الذي كان المدير يبحث عنه، هذا هو حجر القناعة والرضى، دعوني أقرأ ما كتب فيه؛

قرأ العالم العبارة التالية؛ وسط دهشة المساجين:

ليست سعة الرزق والعمل بكثرته، ولا طول العمر بكثرة الشهور والأعوام، ولكن سعة الرزق والعمر بالبركة فيه.

ثم قال العالم في نبرة من الفرح العارم:

أنتم يا إخواني أحرارا منذ هذه اللحظة، وأنا أيضا تحررت معكم، فتوكلوا على الله واضربوا في الأرض.

عند ذلك حيا المساجين بعضهم البعض، في فرح عارم، ثم حملوا  
عالمهم على الأكتاف، وغادروا المكان.

## سألت الراوي:

سألت الراوي:

ما بال إعلامنا يرتاده السوقة والمتملقون ويختفي عن ساحته الجهابذة

الذين يستحقون؟

فكان رده:

بل طمس الله على قلوبهم فهم لا يفقهون.

سألت الراوي:

ما بال القواد يطفون ويعيثون في الأرض فسادا ؟

قال الشيخ الراوي: إن الدار فاسدة وعقدتها مزور وصاحبها في غفلة من

أمره.

ورؤساء القوم جهال يفتنون بغير علم.

فقلت: أحقا ما تقول؟!!

فغمغم قائلا: لعنة الله على الظالمين.

سألت الراوي:

لماذا اتبع الناس كل غواية وكانوا من الضالين؟

فقال:

خاطب الناس بحسب أفهامهم واطرکهم لخالقهم.

ولا تخاطبني في الذين كفروا إنهم مفرقون.

## إلى زكريا تامر:

غد أفضل.

استيقظت ذات يوم باكرا، فاستقيظ معي قلب الأمس الحزين المتعب، كنت أنتظر الغد الأفضل، الذي أحلم به، غير أنه لم يأت، لذلك قررت أن لا أنهض من فراشي، وأنتظر الغد الأفضل، الذي كنت أحلم به، كانت الساعة تشير إلى التاسعة صباحا، حينما قررت ذلك القرار المهم، الذي سيغير حياتي. أقفلت منبه الهاتف، ثم أخبرت زوجتي بأن لا توقظني، لأنني أنتظر الغد الأفضل الذي كنت أحلم به، لن أذهب للعمل لأنني لا أحب العمل، المدير أيضا لا أحبه، الإدارة لا أحبها، موظفي البلدية لا أحبهم، مكثبي المهترئ القديم لا أحبه أيضا، الوثائق المكدسة والساعات الإضافية المرهقة ومصالح الناس التي لا تنتهي، لذلك قررت النوم لأنني أحلم بغد أفضل. أكره الطريق المعبدة بالوحل والطين والوجوه الساخطة وبائع الصحف كل صباح، عابس الوجه لذلك قررت النوم لأنني أحلم بغد أفضل، وضعت الوسادة على رأسي، نمت أياما وشهورا، لكن الغد الأفضل لم يأت فقررت مواصلة النوم، لأنني لا أريد شيئا سوى غد أفضل أو واقع أفضل.

عادت زوجتي من السوق ذات يوم، لتخبرني بأن الغد الذي أحلم به لم يتغير نحو الأفضل، فالأسعار في ارتفاع كل يوم، والناس ساخطون على الوضع، وسيعلمون عما قريب، احتجاجهم على تردي الأوضاع لأنهم يحلمون بغد أفضل.

شعرت بفرح عارم، لأنني لست الوحيد الذي يحلم بفد أفضل.  
في صباح اليوم التالي، استيقظت بهمة ونشاط، وكنت عازما على الذهاب إلى  
العمل، لكنني سمعت ضجيج الناس يملأ الشارع، فنزلت وأعلنت انضمامي  
لهم.

كان الناس في مظاهرة كبيرة، يضعون شارات ذات لون وردي.  
ولافتة كبيرة مكتوب عليها:  
نطالب الحكومة بفد أفضل!

## هذا الظل يتبعني:

سألت ظلي قائلاً: لماذا تتبعني؟ رفع الظل رأسه وقال مفتخراً لأنك لا تستطيع لمسي. قلت عجباً ألسنت تحتي أدوسك بقدمي وأذهب بك حيث أشاء...

عند ذلك توقف الظل وطأطأ رأسه... حينما رفع رأسه. اصطدم برجل عظيم الجثة... فصرخ الرجل في وجهي:

– " وانش عمي ما كاتشوف". ؟

شوف قدامك!

نهرني الرجل وهو يضع يده على كتفي المرتعبة، ثم قال لي، كأنه يتحدثاني:

- ماذا تحسب نفسك أيها المغفل؟

هل تريد الشجار معي؟

لم أنبس بكلمة، كنت خائفاً مرتعباً من هذا الغول الذي منع الهواء عني وجعلني كفأراً صغيراً؛ واقع في شرك ملعون، يرجو الفكاك منه، تأملت فيه ملياً، رأيت رأسه الأصلع، وشاربه الكثيف الذي يتدلى من الأعلى.

قلت في نفسي، كيف يمكنني مبارزة هذا المعتوه، ضخم الجثة، كيف يمكنني التغلب عليه، رأيت ظلي يقفز فجأة فيضيق الخناق على الرجل، كأفعى تلف عنقه الطويل، ثم تعصره بقوة، قبل أن تتركه طريح الأرض،

أدهشني الموقف، ولم أدر ما أفعل سوى أنني فتحت فمي، و أزعجت بصري،  
أحاط بي الناس فجأة:

ثم قدموا جميعا:

الشرطة والسيارات والإسعاف ورجال المطافي، كل واحد منهم لامني  
على فعلتي، أما الظل فقد اختفى وتركني وحيدا أعيش الموقف بأدق  
تفاصيله.

سجل الشرطي اسمي ثم أخذ يدي ووضعها في صباغة، ثم أخرج ورقة  
بصمت عليها بإبهامي، ثم قهقه ساخرا؛

كل الأدلة الآن ضدك، أما الرجل فقد مات، وهذا يزيد من ورطتك، وعليك  
الآن، أن تتصور نفسك في السجن.

أخذوني معهم في سيارة الشرطة البيضاء الجميلة، ثم أدخلوني  
ووضعوني في سجن منفرد، حيث لا ظل ولا ماء، ولا شجر، لم يكن هناك  
سوى ظلام دامس، تذكرت أمي فبكيت، بكاء الأطفال، نمت في الظلام  
والعراء.

في الصباح أخذوني للتحقيق:

كانا هناك في انتظاري، الشرطي الضخم والضابط القوي، أما الشرطي  
فقد كان واقفا هناك في صمت، بينما جلس الضابط قبالي وهو يحدق في  
وجهي البريء، ثم قال:

لحسن الحظ أن الرجل الذي ضربت البارحة، استرد وعيه، وهو يرقد في  
المستشفى الآن، والآن عليك أن تؤدي غرامة كبيرة، بسبب إزعاجك للشرطة.

أفرغت جيوبي وأنا أسدد الفرامة.

كانت الأوراق النقدية تخرج من جيبي كشلال هائج، أما الضابط فقد أعجبه المنظر، وبدأ يملأ جيوب سرواله، ثم انضم إليه الشرطي الضخم، كلهم كانوا يملئون جيوبهم،

ولما انتهيت، أخذوني ورموني من النافذة،

شعرت بأنفاس ذلك الصباح البارد، ثم أحسست برغبة في النوم، تتأبعت في ماض، ثم واصلت السير، في الطريق رأيته، كان ظلي، اختبئ لي من وراء الأشجار، ثم بادلني تحية الصباح، ولمس يديه الباردتين يدي الناعمة، قلت له في غضب؛

لماذا تتبعني؟

قال لي إنني أحبك.

فأجبتة ؛ إذن لماذا تسبب لي المتاعب؟

قال لأنني أحبك، وبعد ساعة من اعتراف ظلي بحبه لي، بسط لي الطريق.

وأرغمني على السير ركضت دون تعب أما هذا الظل فهو دائما يتبعني.



## مدينة الصابرين:

زرت مدينة الصابرين، كانت أسوء مما ظننت، منسية هناك وراء الجبال، بشمسها الحارق وترابها الأسود، أما أهلها فقد كانوا جوعا متعطشون، خرجت فقرات عظامهم من مكانها.

ركبت الأطوبيس المهترئ الذي وقف لي بعد سير كأنه على الأقدام، فوجدت أناسه الصابرين، أحدهم برزت عظمة فخذ، فأمسك بها مبتهجا ثم قال: أنا الآن أشد صبورا منكم، لم يتبق شيء من رجلي، وقرىبا سأفقد الرجل الثانية أما الثاني فقد كان عاريا، برأس مثقوبة، قال بأنه قام بثقبه لأنه يساعده في دخول الهواء الذي منعه الأطوبيس، أما أنا فقد كان لحمي طريا، بدوت ككتلة لحم بين العظام.

نزلت من الأطوبيس المكتظ، وأنا أتعجب مما رأيت، ولما اقتربت من السوق الكبير الذي يقام كل يوم أحد، وجدت عظاما بشرية متهاكة تنتظر على الرصيف، ووجدت جثتا متعفنة تنتظر دورها لتصبح عظاما نخرة، كما رأيت جماعة من الناس، وقد أصبحوا هياكل عظمية، تنط وتقفز برشاقة، وافتخار، لأنها وصلت أقصى درجات الصبر.

رأيت أحدهم يصارع شخصا آخر، فما كان منه إلا أن أخذ عظمة من عموده الفقري هوى بها على جمجمة الآخر بقسوة، فتسبب له في كسر جمجمته الصلعاء التي يتسبب منها العرق، أما الآخر فلم تزد الضربة إلا حيوية ونشاطا فعمد إلى ظهره، ثم هشم عضاه المتبقية، ثم أخذها ووضعها في كيس بلاستيكي، كغنيمة للأكل.

كانوا يذبحون دوابهم الضامرة، فيأكلون العظام، ويصنعون بها الخبز والحلوك.

كانوا فرحين مستمتعين بهذه الحياة، رغم الشقاء وضنك العيش، يعتبرونها إرثهم الذي لا ينقضي، وكان إذا سألهم أحد عن سبب رضاهم بهذه الحياة المتعبة والشقية؛ كانوا يقولون:  
أليس الله مع الصابرين.

## الرجل الذي يملك وقت الفراغ:

جلس وحيدا في بيته المظلم، منزله الجديد، الذي اكتراه مؤخرا، وهو يسدد أجرته بالتقسيط، ويداري غضب العجوز البخيل الذي يداهمه كل يوم كأنه ملك الموت.

مد رجليه الطويلتين صوب العتبة، ثم استلقى على سجاده القديم الذي لا يملك غيره، زاغ بصره فلمح طلاء السقف الباهت الذي يبعث على اليأس، غير أنه ما لبث أن سدد نظراته الحزينة صوب زوايا الغرفة المظلمة، فوجد أنها فارغة مثله تماما، اكتشف أنه الوحيد الذي يملك الفراغ في الحي، فأقفل عليه الغرفة، واستمتع به وحده دون غيره، ونتيجة لذلك لم يجد الرجال العاملون في الخارج، وقتا للفراغ، فهبوا للبحث عنه في أرجاء الحي، ولما علموا بأمره، سارعوا في طلب النجدة منه، وأن يترك لهم وقتا فارغا يشعرون فيه بإنسانيتهم، ويرحمهم من العمل الشاق المتواصل. والذي لا نهاية له.

لكن الرجل رفض، ثم خرج من بيته الصغير، وأقفل على الفراغ بالمفتاح، ثم كسره، وألقاه أمام الرجال الواقفين أمامه والدهشة تملأ وجوههم المتعبة.

فغضب الرجال والنساء والأطفال جراء فعلته هذه، وقرروا مقاضاته، لكي يترك لهم الفراغ، واتهموه بسرقة عطلمهم الرسمية وغير الرسمية، ونخر جسدتهم الذي غمره التعب والأسى فأهلكه.

ثم أخذوه إلى النيابة لتقرر ما تفعله به، ولما انتهى التحقيق، خلص رجال الشرطة إلى أن الرجل يستهتر بالنفوس، وهو لا يدري مدى شناعة الجرم الذي ارتكبه، فقرروا رفع ملفه للقاضي. الذي درسه جيدا قبل أن يقرر النطق بحكمه النهائي وإعطاء رأيه في القضية.

و أمام حشد كبير ألقى القاضي خطابه متوعدا الرجل بأشد أنواع العقاب، لأنه لم يحترم مشاعر الآخرين وأغلق عليهم باب الفراغ، بل جعلهم عبيدا في يده. وأنه سرق البسمة من وجوه الرجال وأجبرهم على العمل ليل نهار. وأنه أناني لا يحب إلا ذاته، وبسببه ألفي يوم عيد الشغل في البلاد، وأنه جريء يتجاسر على حياة الناس الخاصة، فقرر إصدار حكمه النهائي بأن يعدم في الفراغ. وتذكر أشلاءه في الهواء، ليكون عبرة لمن يعتبر، ولكي لا يقدم على سجن الريح والهواء. كما فعل مع الفراغ.

غير أن التعليمات التي جاءت من جهة مجهولة: تؤكد على ضرورة الاعتناء بالرجل الذي يملك وقت الفراغ، وأن يفتح دكانا يبيع فيه أوقات الفراغ، فأصيب الرجال بخيبة أمل كبيرة، في القضية. وقرروا شراء أوقات فراغهم عند الرجل بالتقسيط.

أما الرجل فهو الآن لازال يملك وقت الفراغ.

## إخلاص عامل:

عاد من عمله مساء اليوم متعباً منهوك القوى، غير قادر على الوقوف، بسبب ألم أصابه في ظهره، بعد زوال اليوم، ونتيجة عمله المتعب الذي بلغ فيه مجهوداً جباراً، كان هذا دأبه كل يوم يحمل فأسه قبل بزوغ الفجر، ثم يتجه صوب الحقول، فيعمل على قطع جذوع النخل الميت واستئصاله من جذوره، غير أن نخلة اليوم كانت متينة العود، صلبة المراس، تعذب معها كثيراً حتى أسقطها، أرضاً بصعوبة بالغة.

كان صاحب الحقل يرغب في التخلص منها، لأنها أصيبت بمرض " البيوض"، المعدي، بدأ ألم الظهر يتلاشى شيئاً فشيئاً فترك فرصة لجسمه لكي يرتاح، لكنه تعايش مع هذا الألم عدة سنوات، فهو يحب هذا العمل منذ صغره، لأنه يوطد عزمته، ويجعله يفرغ قوته فيه، بل يجعله يؤمن بربه ويرضى على حالته، أمنا مطمئناً، حامداً الله عليه.

لقد أكتسب خبرة كبيرة في هذه المهنة، فكان يعلم أسرار وخبايا النخل، فيعلم دواء كل نخلة، كأنه الطبيب، لذلك فقبل أن يهوي بفأسه على جذعها، كان يتحسسها فيعرف ما بها، فكان يداوي النخل المريض بدواء نصل فأسه اللامع، تعلم الحرفة من أبيه فأمن بها، ونصب نفسه خليفة لأبيه بعد وفاته، من دون إخوته الذين لا يعجبهم العيش في القرية، فاتخذوا لهم المدينة كمستقر للعيش والعمل، وتركوه في القرية هو وأخوه بوشعيب البوهالي لحراسة حقول القرية.

كان أخوه بوشعيب البوهالي يزوره كل مرة في اليوم، ليحضر له وجبة الغداء، ثم يعود أدراجه إلى الدار التي تأويهم.

شعر بتعب المساء الذي يأتيه دوما وهو يرتشف كوب الشاي المعطر، فداعب أضلاع ظهره المتعب، وأحس بهدوء نسيمات الهواء تلمح ملامح وجهه المستدير، فتلامس قلبه الطاهر الذي أحب قرينته وأهلها وذاب في الإخلاص لهم، ثم شعر بالطمأنينة وهو يرقد بين عائلته وأبنائه الصغار، فيحمد الله على هذا اليقين والرعاية الربانية التي شملت عائلته، تذكر موعد عمل الغد بنفس مطمئنة، كأنه يشعر بالامتنان لصديقه الوفي "علي" الذي رتب له مع " السيد نور الدين"، صاحب الضيعة الكبيرة، هذا الأخير الذي يستغل تواجده في ضيعته ليسأله عن خبايا النخل وأسرارها، وقد حدث ذات يوم أن بعث له السيد "نور الدين"، بطاقة العضوية في جمعية الاعتناء بالنخلة في القرية، واعتبره صديقه الوفي منذ تلك اللحظة لما لمس فيه من أمانة وصدق وحب كبير وإخلاص في العمل، تذكر كل هذه الأشياء فحمد الله على محبة الناس له بقدر حبه لعمله، فكان صبره ويقينه كصبر النخيل في مواسم الجفاف، ولهذا السبب كان السيد نور الدين يفضلها على كثير من العاملين لديه، بل يخصصه له مكانا في مائدته عند الغداء.

تحسس المكان الذي يؤلمه بيديه الطاهرتين، فغمره إحساس بالرغبة في النوم، وكان هذا دأبه، في العمل، ينام باكرا ليستيقظ باكرا بإخلاص وحب ويقين.

استلقى على فراشه، ثم وضع رأسه على الوسادة، وقبل أن يغط في نوم عميق: تذكر أنه سيحمل فأسه غدا، فتخيل الضربات وهي تهوي على النخل تجثه من جذوره وأعماقه، سمعها وهي تقول:

زداح زداح... ..

زداححححح... ..

ثم غط في نوم عميق.

## الحمار وصاحبه:

امتطى حماره وهو يعرج صوب المدينة، قادمًا من قريته الصغيرة، رجل أسمر البشرة، قوي البنية، يرتدي زيا صحراويا يغطي نصف وجهه بـ "شال أزرق"، ليقيه حرارة شمس الظهيرة. كانت صبيحة اليوم مفعمة بالنشاط والحركة، التي يفتعلها سكان القرية وهم يتوجهون صوب السوق الأسبوعي، من أجل التسوق وقضاء أغراضهم وتلبية رغباتهم وحاجاتهم.

ظهر حمار الرجل وهو ينط بخفة ورشاقة، ويركض على الإسفلت في جوانب الطريق، كأنه مفتبط بصحبة صاحبه، وكأنه يعبر له عن فرحته وإخلاصه لأنه اصطبه معه إلى السوق. ومن سوء حظي أنني كنت أقاسم معه الطريق مشيا على الأقدام بينما كان هو يتبعني من الخلف، لزمت جانبي الأيمن ولم أبرحه، لأنني كنت رجلا ملتزما في كل شيء، حتى في مشيتي، غير أن الرجل سلك هو الآخر الجانب الأيمن وهو يمتطي حماره.

كنت أتحمس حركته ورائي وهو يركض، وكانت حوافره رشيقة، جعلتني أنظر بعين واحدة إلا الوراء؛ تخيلت الحمارة يقترب مني، بعد أن ضربه صاحبه بعصاه الغليظة، اقترب واقتراب، حتى ظننت أنه سيدوسني أو يتخطاني، شعرت برائحة عرقه التنتة ورائحة الإصطبل الذي خرج منه، شعرت بالرعب والنرفزة، ولأنني لا أحب مثل هذا النوع الفوضوي من الحمير، ولأنه غبي حتى في مشيته، حاولت الابتعاد قدر ما استطعت، لكن يظهر أن الحمارة كان أسرع مني، فجعل من خطواتي لاشيء، وحاذاني، كانوا أقوياء فجعلوني لاشيء، لا



قيمة لي، ضعت في الطريق ونسيت نفسي، غير أنني رفعت بصري صوب  
السما ثم غمغمت في ضيق، وقلت:

شششششش

هش بعيدا

كنت غاضبا

وأخيرا تجاوزني وتخطاني برشاقة، رأيتَه يتقدم أكثر هو وحماره، بثبات  
وصدق، كان الحمار واثقا من خطواته، كأنه حفظ الطريق جيدا، غرقت في  
أفكاري المبعثرة، أما الرجل وحماره فقد قطعوا الطريق وتواريا عن الأنظار

## قصة الرجل الذي قطعت يده:

كانوا كلهم يعرفونه ويعرفون قصته، التي بسببها كان يهدد الناس بقطع يده، وأنه صعب المراس يفضب كثيرا لأتفه الأسباب، ثم يقوم بأفعال جنونية، حينما يقول كلمته الشهيرة أقطع يدي، كانوا ينادونه بـ "المنحوس"، الذي لا يقدر على مجابته أحد، يكره أهل قريته ويجذف عليه، يراهم أقل مرتبة منه، وأنهم أخذت خلق الله، والحقيقة أن "المنحوس"، كان يحب العزلة هو وزوجته يرغب في التقدير والوقار من أهل القرية، لكنهم كانوا عكس ذلك فخبوا ظنه، مما جعله يفقد أعصابه، يسب ويلعن ثم يقول أغربوا عن وجهي، أيها الملعين، وقد فتح غضبه هذا النار عليه، فجعل أطفال القرية يتجرؤون عليه في أكثر من مناسبة، ويقللون من الاحترام أمامه، فيلعنهم ويقول لهم، ذات يوم ستدفعون الثمن،

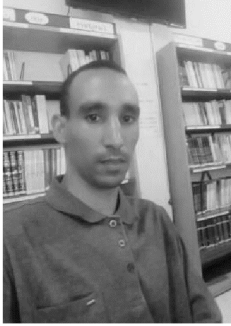
كان يقول دوما بأنه سيقطع يده في كثير من الأمور التي فيها اختلاف فكان الناس يسخرون منه، ويظنون بأنه يقول ذلك في لحظة غضب، إلى أن وقعت الكارثة، ذات يوم بينما كان يعمل في حقله لدغته أفعى سامة، فتوغل السم في يده اليمنى، وسرك فيها بسرعة، سريان الدم في العروق، قبل أن يصل الطبيب، الذي قرر أن يقطع يده، لكي لا يسري السم في جسده، فقطعت يده، منذ ذلك الوقت اغتم الرجل وبكى بكاء حارقا ولم يعد قادرا على قول تلك الكلمة أو ترديدها، أما الناس فقد أصابتهم الصدمة جراء ما وقع له، فنبهوا أولادهم بعدم التعرض للرجل أو الاستهزاء منه، وتركه وشأنه، ثم بدأ الرجل منذ تلك اللحظة في عمل الخير، فكان يطعم المسكين

ويساعد الفقراء، حتى عرف بين الناس صالحا، ولم يمض على هذه الحادثة الأيمة سوى عام واحد، حتى لفظ أنفاسه الأخيرة، وتوفي رحمه الله، وقد بكاه أهل القرية بحرقة. وطلبوا الله له الرحمة والمغفرة.

كانت ذكراه أليمة ومحزنة، رحمه الله، فأصبح رمزا للقرية، وقد أطلق على الوادي اسمه؛ فأصبح ينعت بـ "الوادي المقطوع"



## نبذة عن المؤلف



### ▪ الحسين أيت بها

من مواليد زاكورة/ جنوب المغرب.

أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي، اللغة العربية/أكدز، زاكورة.

له عدة مقالات نقدية وأدبية متفرقة، منشورة في عدة منابر ثقافية.

له قيد الطبع: رواية هواجس الضياع.



# الفهرس

- 19.....الضربة القاضية:
- 21.....سقوط:
- 23.....نكران:
- 25.....معاناة:
- 27.....شجار:
- 29.....سرقة بريئة:
- 31.....انقلاب:
- 32.....تجدد:
- 33.....أمل:
- 34.....عدم:
- 35.....ضياع:
- 36.....شيخوخة:
- 38.....مأساة:
- 39.....وليمة:
- 40.....قصة حزينة:

- 41.....هروب:
- 42.....حلم:
- 43.....غرق:
- 44.....ذئبة:
- 45.....عضاريت:
- 46.....شؤم:
- 47.....غربية:
- 48.....اعتزال:
- 49.....غضوة:
- 51.....قصة الغبي والأخبي منه:
- 54.....جنون:
- 57.....حبة خردل:
- 58.....إلى أحمد بوزفور:
- 59.....ذكرى:
- 60.....الرجل الذي يركض وحيدا:
- 62.....النقش على الحجر:
- 67.....سألت الراوي:
- 68.....إلى زكريا تامر:



- 70.....هذا الظل يتبعني:
- 73.....مدينة الصابرين:
- 75.....الرجل الذي يملك وقت الفراغ:
- 77.....إخلاص عامل:
- 80.....الحمار وصاحبه:
- 82.....قصة الرجل الذي قطعت يده:



# إصدارات جامعة المبدعين المغاربة

- عرصة لكلام / أضوممة زجلية جماعية
- نوافذ عاشقة / أضوممة شعرية جماعية
- حتى يزول الصداق / مجموعة قصصية جماعية
- وحي ذاكرة الليل / عمل سردي / للكاتبة العراقية رحاب حسين الصايغ
- يسقط شقيا / للشاعر محمد اللغافي
- في عينيها ينام القمر / خواطر / محمد فكري
- شرفات أمومة الخاطرة والرسائل الأدبية / جماعية
- تهمس لك / همسات جماعية
- صدور مشرعة عن آخرها / همسات جماعية
- طريق الشفاه / قصص جماعية
- حوض لكلام / زجل جماعي
- شهد النسيان ناداني / الأديب حسن برما
- إيماءات / نصوص شاعرية / جماعية
- بين نارين / قصص جماعية
- مشموم لكلام / زجل جماعي
- تترت / رواية / لحسن ملواني
- الحمامة الصفراء / ترجمة لمحكيات من الأمازيغية / لحسن ملواني
- أوتار بأصابع ملونة / نصوص بين الفصيح والزجل / جماعية
- قبيلة الضباب / رواية / عمر الموريف
- صدمات / قصص / محمد علي البوداني
- هواجس بطعم الشمس / شعر / رشيد البوعناني

- مناجم في حوض الشتاء / شعر / أحمد بياض
- بيان على هامش الخطيئة / شعر / عبد الواحد البشير
- سكرات البوح / شعر / عبد الحق آيت الحاج
- رفقة حتى الموت / قصص / مصطفى الحديوي
- هديل الحمام / شعر / ثورية الكور
- الحرف الثائر / شعر / أحمد الغازي
- قطاف أنثى / قصص / نجات الشرقاوي
- ليت الصمت يكفي / شعر / عباس سامامي
- على اعتاب عينيك / شعر / كرناط مصطفى
- وداعا سانتا ماريا / رواية / مصطفى حديوي
- طواسين الفتنة والعبور / شعر / عبد اللطيف ديدوش
- تبايين الآلهة / شعر / محمد الذهبي
- خلف الرماد / شعر / مصطفى المسعودي
- على طرف لساني / أمثال شعبية / محمد نشوان
- ذاكرة النسيان / نصوص / عبد الله اتهومي
- حياكة التعايش / قصص / جميلة لمرابط
- الجرعة الأخيرة / رواية / سعيدة بالكارج
- موت كف على غسيل نجمة / نصوص / أحمد بياض
- أذان الموت / رواية / عمر المريرف
- إجهاض الحزن / خواطر / الشابة شيماء مصطفى بروزين
- رواية بالفرنسية / إدريس كورشي Temps et girouettes
- أتيت بلا عنوان / شعر / عبد الله صاريح
- برمودا ورقصة الشمس / رواية / محمد بقوح

- صوت القلم / شعر / للسعدية خيا
- ليل عينيك شهرزاد / شعر / عباس سامامي
- ليال شرقية / شعر / هدى أعراب
- بورتريهات ناطقة / شعر / لحسن ملواني
- مرافئ الوجع / قصص / لحسن آيت العامل
- أطلقو سراح الشمس / للمبدعة فدوى زياني
- كتاب / المسرح المدرسي / للأستاذ لحسن ملواني
- خلف جدار الذاكرة / قصص / للمبدع سفيان البراق
- بائع الوقت / مجموعة قصصية / عبد الرحيم شراك
- وجع على قنطرة الوادي / مجموعة قصصية / عبد الواحد البرجي
- طعم المخاط / مجموعة قصصية / يونس البوتكمانتي
- خلف جدار الذاكرة الطبعة الثانية / قصص / للمبدع سفيان البراق
- محكيات طالب جنوبي / الكاتب عبد الصادق السراوي
- الحداثة في الشعر / محمد السرغيني نموذجاً / دراسة ل مسيرة  
المغاييل
- آخر عبور / شعر / عباس سامامي
- يا الفاهم بلا فهامة افهمني / زجل / أحمد السامحي
- اللغة العربية جمال وإهمال / ذ لحسن ملواني
- عطش الزمان / زجل / محمد نفاع
- رواية باللغة الفرنسية Cloches d'amour / يوسف الورد
- الطريق إليها / نثر فني / الكاتب البحريني عادل نهشل
- بأقل من شسع كليب / شعر / أحمد الشياخي
- المرجفون في القبيلة / مجموعة قصصية / الكاتب عمر المريف

- المسافر / أشعار / المبدع العربي الطيبي
- أصداء مجاورة الموتى / زجل / مصطفى اصغيري
- أشياء ضائعة من ذاكرة أسفي الرائعة / مقالات / ربيعة بوزناد
- مراثي القمر / شعر / لحسن أيت بها
- رسائل العاصفة / مجموعة شعرية / محمد لعروسي
- رسائل مهجورة / مجموعة شعرية / الحسين حسيني
- كل هذا وأكثر / مجموعة شعرية / محمد حيارى
- الحافة / مجموعة قصصية / خالد الكثير
- سيرة الأرجوان / نصوص / قطب الريسوني
- مرافئ الوجع / مجموعة قصصية / الطبعة الثانية لحسن أيت العامل
- ماسحة القلوب / مجموعة قصصية / يوسف الورد
- بقليل من الحظ / شعر / مصطفى قلووشي
- رقص على وتر حزين / شعر / عبد الله صاريح
- رصاص وسكر / شعر / محمد بادو
- شطحات الثعبان الأرقط / قصص قصيرة الطبعة الثانية / أحمد العراف.
- سلاماً أيها الغيم / قصص / قطب الريسوني
- أجساد تحترق في الشارع / قصص / محمد الصفى
- قابيل مجدداً / رواية / محمد فولاً
- نجوى الذكريات / مجموعة قصصية / أحمد العكيدي